

السنة الثامنة والعشرون وثلاث مئة^(١)

[قال ثابت بن سنان:] في ليلة [يوم] الخميس مُسْتَهْلٌ الْمُحَرَّمُ ظهر في الجَوْ حُمْرَةٌ شديدة من ناحية الشَّمَالِ والمغرب، ثم دارت إلى الشمال، وظهر منها أعمدةٌ بياضٍ عظيمةٌ، كثيرةُ الضَّوءِ والعدد، ثم اضمَحَلَّتْ، ثم عادت.

[قال:] وفي هذا اليوم ورد الخبرُ إلى بغداد بأنَّ عليًّا بن عبد الله بن حَمْدَانَ لقي الدُّمُسْتُقْ فهزمه.

وفي يوم الخميس لثلاثٍ بقين من المُحَرَّمِ تزَوَّجَ بَجَكَمَ سارة بنت أبي عبد الله البريدي بحضرة الراضي، وكان الصداق مئتي ألف درهم.

وفيها ورد الأميرُ أبو علي الحسن بن بُؤْيَه إلى واسِط فأقام بشرقيِّها، وكان البريديون بها في الجانب الغربي.

وسببُ مجيء الحسن إليها: أنَّ أبا عبد الله البريدي أنفذ جيشاً إلى السُّوس، فقتل قائدَين من كبار الدَّيْلَمِ، وتَخَلَّصَ أبو جعفر الصَّيْمَرِي إلى قلعة السُّوس، وخاف الحسنُ ابن بُؤْيَه من البريدي أن يسير إلى الأهواز، وكان الأمير أبو علي مقيماً بباب إصْطَخْر، فكتب إليه أخوه فوافاه، فخرج الراضي وبَجَكَمَ من بغداد إلى واسِط، فانصرف أبو علي عنها، فرجع الراضي وبجكم إلى بغداد.

وفي شعبان توفي القاضي أبو الحسين عمر بن محمد، وتقلَّد مكانه من جانبي بغداد ابنُه أبو نصر.

وفيها خرج بجكم إلى الجبل وعاد، وفَسَدَ الحالُ بينه وبين البريدي.

وسببُه: أنَّ بجكم لمَّا صاهر البريدي وصفا الحال بينهما كتب بجكم إلى البريدي وهو بواسط أنَّه قد عزم على قَصْدِ الجبل لفتحه، وأمر البريدي أن يسيرَ إلى الأهواز ليدفع الأميرَ أبا الحسن بن بُؤْيَه عنها^(٢).

(١) في (م): بعد الثلاث مئة.

(٢) في الكامل ٨/٣٦١ أن البريدي هو الذي أشار على بجكم بالمسير إلى الجبل، وأنه إن فعل سار هو إلى الأهواز.

فلَمَّا قطع بجكم حُلوان طمع البريدي في العراق، وأَنَّهُ يدخلُ بغداد فيأخذ من دار بجكم دفائنَ عظيمة^(١)، وكانت سَنِيَّةً، وأقام يُقَدِّمُ ويؤخِّرُ، ويُقَدِّمُ ويَجْبُنُ، وتارة تَشْرُهُ نَفْسُهُ إلى المال، وتارة يخاف من مُكاشَفَةِ بجكم، ويتوقَّع أن يهْزَمَ بجكم أو يُقتلَ فيتمكَّنَ مما يريد.

وكان بجكم قد بعث أبا زكريا السُّوسي بالرسالة إلى البريدي، فأقام عنده شهراً، وعلم السُّوسي ما قد عَزَمَ عليه، فأرسل السُّوسي^(٢) إلى بجكم فأخبره، فركب بجكم الجَمَّازات^(٣)، وسار إلى بغداد، وخَلَّفَ عسكره وراءه.

ووقع الطَّيْرُ على البريدي بدخول بجكم بغداد، فتَحَيَّرَ، وهَمَّ بالقبض على السُّوسي، ثم أطلقه، وعَزَلَ بجكم البريدي عن وزارة الراضي - وكان اسمُ الوزارة واقعاً عليه، والأمر يُدَبَّرُها أبو جعفر بن شيرزاد كاتب بجكم - واستُوْزِرَ أبو القاسم سليمان ابن مَخْلَد^(٤) في ذي القعدة، وخُلِعَ عليه.

وكانت مدة وقوع اسم الوزارة على البريدي سنةً واحدة وأربعة أشهر وأربعة عشر يوماً.

وخرج بجكم إلى واسط في ذي القعدة، وأراد أن يكتَمَ أمره عن البريدي، فضبط الطريق بأسرها، واحترز ليهجم واسطاً فيأخذ البريدي، فوصل إلى واسط يوم السبت ليلة بقيت من ذي القعدة، فوجد البريدي قد انحدر منها ولم يقف، وقلَّد بجكم كتابته أبا عبد الله أحمد بن علي الكوفي، وعُزِلَ عنها أبو جعفر بن شيرزاد.

وفي شوال ورد الخبر إلى بغداد بأنَّ محمد بن رائق صار إلى حمص فملكها، وإلى دمشق والرَّملة وملك الجميع، ووصل إلى عَرِيش مصر، ولقيه الإخشيد محمد بن طُغْج، فحاربه فانهزم، واشتغل أصحابُ ابن رائق بالتهب، ونزلوا في خِيَمِ أصحاب

(١) في تكملة الطبري ٣٢١ أن البريدي طمع أن يخرج الدفائن من داره هو، لا من دار بجكم.

(٢) في (خ): البريدي، وهو خطأ، وليس في (م ف ١م) لاختصار نشير إليه قريباً، والمثبت من الكامل ٣٦٢/٨.

(٣) المراكب السريعة شبه العربية يجرها فرسان.

(٤) هو سليمان بن الحسن بن مخلد، انظر أخبار الراضي ١٤٤، وتكملة الطبري ٣٢١، والمنتظم ٣٨٣/١٣،

والكامل ٣٦٢/٨، وتاريخ الإسلام ٤٢٩/٧.

ابن طُغْج، فخرج عليهم كمينٌ لابن طُغْج فأوقع بهم، وهزمهم أقبح هزيمة، وأفلت ابنُ رائق إلى دمشق في سبعين رجلاً.

وفيها مات أبو علي محمد بن مُقَلَّة في الحَبْس بدار الخليفة لثلاث عشرة خلت من شوال.

وفي يوم الخميس ليلتين بقيتا منه مات أبو العباس أحمد بن عبيد الله الحَصِيبِي بسكنتِهِ لِحَقَّتْهُ، فكان بين وفاته ووفاة ابن مُقَلَّة سبعة عشر يوماً.

وفي ذي القعدة وصل إلى بغداد رسولُ أبي طاهر القِرْمِطِي يطلب من الخليفة خمسين ألف دينار كانت مقرَّرةً عليه في كل سنة، فأعطي من جملتها عشرون ألفاً على أن يُبْدِرَق^(١) الحاج، فبَدَّرَقَهُم في هذه السنة.

وفيها واقع محمد بن رائق أبا نصر بن طُغْج في اللَّجُون بالسَّاحِل، فانهزم أصحابُ ابن طُغْج، واستؤسر وجوه قَوَّاده، وقُتِلَ في المعركة، فعزَّ على ابن رائق، فكفَّنَه وحنَّطه، وأنفذ معه ابنه مُزاجِماً إلى الإخشيد، وكتب معه كتاباً يُعزِّيه في أخيه، ويعتدُّرُ إليه، ويحلف أنه ما أراد قتله، وأنه أنفذ إليه ابنه مُزاجِماً لِيُقَيِّدَهُ به إن أحبَّ.

فتلقى الإخشيدُ فعَلَهُ بالجميل وخالع على مُزاجِم ورددَه إلى أبيه، واصطلحا على أن يُفْرِجَ ابنُ رائق للإخشيد عن الرَّمْلَة، ويَحْمِلَ إليه الإخشيدُ في كل سنةٍ مئةً وأربعين ألف دينار، ويكون باقي الشام في يد ابن رائق.

وفي عيد الأضحى مات أبو بكر محمد بن القاسم بن محمد بن بشار النَّحْوِي الأَنْبَارِي.

وفي ذي الحِجَّة أشهد أبو عبد الله^(٢) محمد بن أبي موسى الهاشمي ثلاثين عدلاً أنه لا يَشْهَدُ عند القاضي أبي نصر يوسف بن عمر؛ بعد أن أخذ خطوط الشهود بأنه عدلٌ

(١) يخفروهم ويحيرهم ويحميهم في طريقهم.

(٢) في المنتظم ٣٨٣/١٣ : أبو علي، والمثبت موافق لما في أخبار الراضي ١٤٤، وتكملة الطبري ٣٢٠.

مَقْبُولُ القَوْلِ، وكان ذلك يوم السبت لثلاث عشرة خَلَّتْ من ذي الحجة، فلمَّا كان يوم الاثنين لثمانٍ بقين منه قامت البيعة عند القاضي أبي نصر بأنَّ أبا عبد الله محمد بن أبي موسى الهاشمي ساقطُ العَدالة بشهادة عشرين عَدْلًا، فأسجل القاضي بما ثبت عنده^(١). وفيها^(٢) عَرَقَتْ بغداد في شعبان عَرَقًا عَظِيمًا، بلغت الزيادةُ تسعة عشر ذراعًا، وانبتق بُتُّ من نواحي الأنبار، فاجتاح القُرَى، وغرق بنو آدم والسباع والبهائم، وصبَّ الماء في الصَّراة، ودخل بغداد من الجانب الغربي، وتساقت الدُّور، وانهدمت المنازلُ، وانقطعت القنطرتان العتيقة والجديدة عند باب البصرة [، وجرت في هذه السنة عجائب من هذا الجنس.

فصل وفيها توفي

أحمد بن إسحاق بن إبراهيم

أبو بكر، القاضي، الخُزاعي، البغدادي، ويعرف بالملحمي، أخو محمد بن إسحاق^(٣).

حدَّث عن محمد بن عبد الرَّحمن^(٤) بن بَحِير الكَلاعي وغيره، وعن أبي عقيل أنس ابن سَلَم^(٥) الخَوْلاني بأنظرَسوس^(٦)، وأبي عامر بن إبراهيم السُّلمي بُصور، ومحمد ابن حَمَّاد المِصِّيصي بالرَّمْلة وغيرهم، وكان ثقةً.

(١) في أخبار الرازي أن سبب هذه الشهادة استيحاش ابن أبي موسى من القاضي أبي نصر، وكان ذلك بسبب اتهام القاضي لابن أبي موسى أنه يميل إلى أخيه أبي محمد، وأنه يسعى له في ولاية بغداد.

(٢) من قوله أول السنة: وفيها ورد الأمير أبو علي... إلى هنا ليس في (م ف م ١).

(٣) تاريخ بغداد ٥٦/٥، وتاريخ الإسلام ٥٤٣/٧، والسير ٢٤٧/١٥، ومختصر تاريخ دمشق ٢٢/٣.

(٤) في (م ف م ١م): حدث عن عبد الرَّحمن، والمثبت من تاريخ بغداد.

(٥) في (م ف م ١م): أنس بن مسلم، وهو تحريف، والمثبت من تاريخ دمشق ١٤٠/٣ (مخطوط)، وتاريخ الإسلام ٧٢٢/٦.

(٦) في (م ف م ١م): بطرسوس، وهو تحريف، فإن طرسوس من بلاد الروم، وهي مدينة بئغور الشام بين أنطاكية وحلب، كما ذكر ياقوت، وأنس بن السلم من أنظرَسوس، وهي بلد بسواحل بحر الشام، وهي آخر أعمال دمشق من البلاد الساحلية وأول أعمال حمص.

وأخرج له الدارقطني حديثاً عن ابن عمر: أن النبي ﷺ قال: «إذا كان يوم القيامة يدعو الله العبد، فيسأله عن جاهه كما يسأله عن ماله^(١)» [٢].

وفيهما توفي

المرتعش الزاهد

واختلفوا في اسمه، فقال الخطيب: اسمه جعفر، وقال أبو عبد الرحمن السلمي: اسمه عبد الله بن محمد، وكذا قال ابن خَميس. وكنيته أبو محمد^(٣).

كان من ذوي الأموال^(٤)، له مالٌ جليل، فتخلّى عنه وصحب الفقراء مثل الجُنيد، وأبي حَفص، وأبي عثمان النَّيسابوريين، وأقام ببغداد بالشُّونيزية حتى صار شيخ الصُّوفية وأحد الأئمة.

وقال^(٥): كان سبب خروجي إلى هذا الأمر أنني كنتُ ابنَ دِهقان، فبينما أنا جالس على باب داري بنيسابور إذا بشابٍّ عليه مُرَقعة، وعلى رأسه خِرقة، فأشار إليَّ مُتَعَرِّضاً

(١) مختصر تاريخ دمشق ٣/ ٢٢، وأخرجه الدينوري في المجالسة (١١)، وابن حبان في المجروحين ٣/ ١٣٧، والطبراني في معجمه الأوسط (٤٤٨)، والصغير (١٨)، وابن عدي في الكامل ٧/ ٢٦٢٨، وتمام الرازي في فوائده (١٧٤٩)، والخطيب في تاريخه ٨/ ٦٦٨، وفي الفصل للوصل المدرج في النقل ٢/ ٧٤٩، وابن عساكر في تاريخه ٦٠/ ٢٨٣-٢٨٤، وابن الجوزي في الموضوعات (١٠٧٥)، وفي العلل المتناهية (١٥٣٤). قال الخطيب هذا الحديث لا يثبت عن النبي ﷺ بوجه من الوجوه، وقال ابن حبان: هذا لا أصل له من كلام رسول الله ﷺ.

وفي إسناده هذا الحديث يوسف بن يونس الأفطس؛ قال ابن حبان: لا يجوز الاحتجاج به إذا انفرد، وقال ابن عدي: كل ما روى يوسف عن الثقات منكر. وانظر ميزان الاعتدال (٩٣٤٨).

(٢) ما بين معكوفين من (م ف م ١)، وليس في (خ)، وجاء بعد هذا في (م ١ ف): والحمد لله وحده، وصلى الله على أشرف خلقه محمد وآله وصحبه وسلم.

(٣) في (خ): المرتعش الزاهد واسمه جعفر، وقيل: عبد الله بن محمد، وكنيته أبو محمد، والمثبت من (م ف م ١)، وانظر ترجمته في: طبقات الصوفية ٣٤٩، حلية الأولياء ١٠/ ٣٥٥، الرسالة القشيرية ١٠٨، تاريخ بغداد ٨/ ١٣٧، المنتظم ١٣/ ٣٨٤، مناقب الأبرار ٢/ ٥١، السير ١٥/ ٢٣٠.

(٤) في (م ف م ١): قال السلمي: وكان من ذوي الأموال. وهذا الكلام ليس للسلمي بل للخطيب، انظر المصادر في الحاشية السابقة.

(٥) في (م ف م ١): وحكى في المناقب أن اسمه ملقبا، وأقام بالعراق حتى صار أحد أئمة الصوفية، وقال في المناقب أيضاً عن المرتعش قال، والخبر الآتي في تاريخ بغداد ٨/ ١٣٧، ومناقب الأبرار ٢/ ٥٤.

إشارة لطيفة، فقلت في نفسي: شابٌ صحيحُ البدن ما يأنفُ من هذا؟! فصاح في وجهي صيحةً عظيمةً، وقال: أعوذ بالله ممّا اختلجَ في صدرك، وخامرَ سرِّك، فغشي عليّ، وسقطتُ على وجهي، فخرج خادمٌ لنا، فرفع رأسي من الأرض وجعله في حجره.

فلَمَّا أفتتُ لم أرَ الشابَّ، فتَحَسَّرْتُ ونَدِمْتُ على ما كان مِنِّي، وبِتُّ ليلتي مغموماً، فرأيتُ عليّ بن أبي طالب عليه السلام في المنام ومعه الشاب، وهو يُؤبِّخني ويُؤنِّبني^(١) على ما كان مِنِّي، فانتبهتُ، وخرجتُ عن جميع ما كنتُ فيه، ثم سافرتُ، وسمعتُ بوفاة أبي بعد خمس عشرة سنة، فسألتُ الله العونَ على خلاصي مما ورثتُ فأعانني، وكان معي للشاب عيْنٌ ما فارقتني الحياءُ منه، ولا يُفارقني حتى ألقى الله تعالى.

وقال أبو عبد الله الرازي^(٢): كان يقال: عجائبُ بغداد ثلاثة: إشاراتُ الشُّبلي، وحكاياتُ إبراهيم الخوَّاص، ونُكَّتُ المرْتعش.

وقال المرتعش^(٣): سافرتُ ثلاثين سنةً أمشي كل سنة ألفَ فرسخ، لا أرافقُ أحداً، وإن فُتِح لي بنصف رغيف طالبتُ نفسي بالمُواساة.

[وحكى السُّلمي عنه أنه] قال: مَنْ ظنَّ أنَّ أفعاله تُنْجيه من النار، وتُبَلِّغُه الرِّضوان؛ فقد جعل لنفسه ولفعله خطراً، ومَنْ اعتمد على فضل الله بلغته الله منازلَ الرِّضوان^(٤).

[قال:] وقيل له: إنَّ فلاناً يمشي على الماء فقال: إنَّ مَكَّنَه الله من مُخالفة هواه كان أعظمَ من المَشْي على الماء^(٥).

[وقال السُّلمي:] قال رجل للمُرْتعش: قد طال الليلُ وبرَدَ الهواء، فأنشُد يقول:

[من الخفيف]

(١) في (م م ١): ويلومني.

(٢) في (م ف م ١): وحكى الخطيب عن أبي عبد الله الرازي قال. والمثبت من (خ)، والخبر في تاريخ بغداد ١٤٧/٨.

(٣) في (م ف م ١): وحكى في المناقب عن المرتعش قال. والمثبت من (خ)، والخبر في مناقب الأبرار ٥٢/٢.

(٤) ما بين معكوفين من (ف م م ١)، والخبر في طبقات الصوفية ٣٥٢.

(٥) في (خ): إن من مكَّنه... والمثبت من (م ف م ١)، وفي طبقات الصوفية ٣٥٢: عندي أن من مكَّنه الله من مخالفة هواه فهو أعظم من المشي على الماء.

لَسْتُ أَدْرِي أَطَالَ لَيْلِي أَمْ لَا كَيْفَ يَدْرِي بِذَلِكَ مَنْ يَتَقَلَّبُ
 إِنَّ لِلْعَاشِقِينَ فِي قِصْرِ اللَّيْلِ لِي وَفِي طَوْلِهِ عَنِ النَّوْمِ شُغْلًا
 لَوْ تَفَرَّغْتُ لِاسْتِطَالَةِ لَيْلِي وَلرَعِي النُّجُومَ كُنْتُ مُخْلًا
 [فبكى الحاضرون، واستدلوا بذلك على عمارة أوقاته.

وهذه رواية السُّلَمِيِّ^(١)، ورواها غيره وفيها زيادة وهي هذه: [

أَيُّهَا الْمَلِكُ الَّذِي سَهْرِي فِيهِ هُ كَطَعْمِ الرُّقَادِ بِلْ هُوَ أَحْلَى
 غَرَضِي مَا يُرِيدُهُ بِي^(٢) حَبِيبِي لَوْ سَقَانِي مُهْلًا لَمَا قَلْتُ مَهْلًا
 وَغَرَامُ الْفَوَادِ مُذْجِلَتْ عَنْهُ لَمْ يَحُلْ عَنِ هَوَاكَ حَاشَا وَكَلًّا
 [وحكى عنه في «المناقب» أنه] قال: ذهبت حقائقُ الأشياءِ وبقيت أسماءُها،
 فالأسماءُ موجودةٌ، والحقائقُ مَفْقُودَةٌ، والدَّعَاوَى فِي السَّرَائِرِ مَكْنُونَةٌ، وَالْأَلْسُنُ بِهَا
 فَصِيحَةٌ، وَالْأُمُورُ عَنِ حَقَائِقِهَا مَصْرُوفَةٌ، وَعَنْ قَرِيبٍ تُفْقَدُ^(٣) هَذِهِ الْأَلْسُنُ وَالدَّعَاوَى،
 فَلَا يُوْجَدُ لِسَانٌ نَاطِقٌ، وَلَا مُدْعٍ صَائِبٌ.

وقال له رجل: أوصني، فقال: اذهب إلى من هو خيرٌ لك منِّي، ودعني مع من هو
 خيرٌ لي منك.

ذكر وفاته:

حكى الخطيب عن محمد بن مأمون^(٤): أنه سمع أبا عبد الله الرازي^(٥) يقول:
 حضرتُ وفاةَ المُرتَعِشِ فِي مَسْجِدِ الشُّونِيزِيَّةِ [فِي هَذِهِ السَّنَةِ]، فَقَالَ: انظُرُوا دِيُونِي،
 فَانظُرُوا فَقَالُوا: بَضْعَةٌ عَشْرَ دَرَاهِمًا فَقَالَ: انظُرُوا خُرَيْقَاتِي فَاجْعَلُوهَا فِي دِيُونِي، وَقَدْ
 سَأَلْتُ اللَّهَ ثَلَاثًا عِنْدَ مَوْتِي وَقَدْ أَعْطَانِيهَا: إِحْدَاهَا أَنْ يُمِيتَنِي عَلَى الْفَقْرِ، الثَّانِيَةَ: أَنْ

(١) في طبقاته ٣٥٠.

(٢) في (ف م ١م): ما تريد مني، والمثبت من (خ م)، والأبيات في المدهش لابن الجوزي ٢٢٢ ونسبها لابن المعتز.

(٣) في (م ف م ١م): تصرف، والمثبت من (خ)، والخبر في مناقب الأبرار ٥١/٢، وطبقات الصوفية ٣٥٠.

(٤) في (ف م م ١م): مقاتل، والمثبت من تاريخ بغداد ١٣٨/٨، والمنتظم ٣٨٤/١٣.

(٥) في (ف م ١م): البزار، وفي (م): أبا عبد الله محمد الزراد، وفي (خ) والمنتظم: الرزاز، والمثبت من تاريخ

بغداد ونسخة (ت) من المنتظم كما أشار محققه.

يُمَيَّنِي فِي هَذَا الْمَسْجِدِ فَقَدْ صَحِبْتُ فِيهِ أَقْوَامًا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ يَكُونَ حَوْلِي مَنْ أَنْسُ بِهِ وَأُحِبُّهُ، ثُمَّ غَمَّضَ عَيْنَيْهِ وَمَاتَ بَعْدَ سَاعَةٍ، رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ^(١).

[فصل: وفيها توفي

الحسن بن أحمد

ابن يزيد بن عيسى بن الفضل بن بشار، أبو سعيد، الإصطخري، الشافعي، قاضي قم^(٢).

أحد الأئمة العلماء، كان زاهداً، مُتَقَلِّلاً وَرِعاً، فاضلاً.

ألّف كتاباً في القضاء يدلُّ على سَعَةِ علمه ومعرفته وقوة فهمه، وسَمَّاهُ: «أدب القضاء».

ولد سنة أربع وأربعين ومئتين.

وقد أثنى عليه الأئمة وأرباب السِّير، وقد أثنى عليه أبو الطَّيِّب^(٣) الطَّبري فقال: كان أبو سعيد من الزُّهد والوَرَع بمكانٍ لم يَصِلْهُ سِوَاهُ، وكان قَمِيصُهُ وسراويله وعِمَامَتُهُ من شُقَّةٍ واحدةٍ، وكان يَتَّقَوْتُ الْبَاقِلَاءَ.

قال: وسئل عن امرأةٍ مات عنها زوجها وهي حامل، هل يجب لها النَّفَقَةُ؟ قال: نعم، فعارضه أبو العباس بن سُريج وقال: ليس هذا للشافعي، فقال أبو سعيد: هو مذهب علي وابن عباس، فقال له ابن سُريج: كثرة أكل الباقلاء تذهب بدماعك - يُعَيِّرُهُ بِالْفَقْرِ - فقال له أبو سعيد: وأنت كثرة الحلوى قد ذهبت بدينك.

فقد أفتى الإصطخري بمذهب أحمد، وليس ما ذكره مذهباً للشافعي.

(١) بعدها في (ف م ١م): انتهت ترجمته والله أعلم.

(٢) تاريخ بغداد ٢٠٦/٨، والمنتظم ٣٨٥/١٣، وتاريخ الإسلام ٥٤٨/٧، والسير ٢٥٠/١٥، وطبقات الشافعية ٢٣٠/٣.

(٣) في (ف م ١م): أبو طالب، وهو تحريف، والمثبت من المصادر، وهذه الترجمة وتاليها ليست في (خ).

قال أبو الطَّيِّب الطبري: وكان قد وُلِّي الحِسْبَةَ ببغداد، فأحرق طاق اللَّعْب، من أجل ما كان يُعْمَل فيه من الملاهي، وكان القاهر أخو المقتدر^(١) قد استفته في الصَّابئة فقال: إن كانوا يعبدون الكواكب فيقتلوا، فجمعوا للقاهر مالاً عظيماً فكفَّ عنهم. وكانت وفاته ببغداد في جمادى الآخرة، وكان ثقة. وفيها توفي

علي بن شيبان بن بنان

أبو الحسن، الجَوْهَرِيُّ^(٢). وكان ثقة، أصله من البصرة، وسكن دمشق، وكان بها في سوق اللؤلؤ، وبنوه يُعرفون ببني بنان الصائغ، قال الحافظ ابن عساكر: حدَّث بدمشق، وكان ثقة صدوقاً. وفيها توفي^(٣)

علي بن محمد

أبو الحسن، المُزَيِّن الصَّغِيرُ^(٤). أصله من بغداد، صحب الجُنَيْد، وسَهْلَ [بن عبد الله] التُّسْتَرِي، وجاور بمكة حتى توفي بها.

وكان أوحد المشايخ، وأورعهم، وأحسنهم حالاً. [وله الوقائع العجيبة: حدثنا غير واحد عن أبي بكر العامري بإسناده، عن أبي عبد الله بن خفيف قال: سمعتُ أبا الحسن المزين يقول: [٥] كنتُ في بادية تبوك، فتقدَّمتُ إلى بئرٍ لأستقي منها فزلتُ رجلي، فوقعتُ في جَوْفِ البئر، فرأيتُ فيه زاويةً

(١) في (م م ١): وكان القاهر ابن المقتدر، وهو خطأ.

(٢) تاريخ دمشق ٤٩/٢٤٦، وتاريخ الإسلام ٧/٥٥٢.

(٣) ما بين معكوفين من (م م ١).

(٤) طبقات الصوفية ٣٨٢، تاريخ بغداد ١٣/٥٤٤، الرسالة القشيرية ١١٣، المنتظم ١٣/٣٨٨، مناقب

الأبرار ٢/١٠٢، تاريخ الإسلام ٧/٥٦٦، السير ١٥/٢٣٢.

(٥) ما بين معكوفين من (م م ١).

واسعة، فأصلحتُ مَوْضِعاً، وجلسْتُ فيه وقلت: إنَّ مَثُ لا أُفسدُ على الناس الماء، وطابت نفسي وسكنَ قلبي.

فبينما أنا قاعدٌ إذا بحَشْخِشَةٍ، فتأمَلْتُ وإذا بأفْعَى قد تَدَلَّى علي، فرجعتُ إلى نفسي فإذا هي ساكنة، فدار بي وأنا هادئُ السرِّ لا أضطرب، فلفَّ ذنبه عليّ، وأخرجني من البئر، وحلَّ عني، ولا أدري أين ذهب، فلا أدري أسماءَ رَفَعْتَهُ أو أرضُ بَلَعْتَهُ.

[وَحَكَى عَنْهُ فِي «الْمَنَاقِبِ» أَنَّهُ] قَالَ: كُنْتُ بِمَكَّةَ، فَوَقَعَ فِي خَاطِرِي انْزِعَاجٌ، فَخَرَجْتُ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَبَيْنَمَا أَنَا أُسِيرُ بِيئْرٍ مَيِّمُونَ وَإِذَا بِشَابِّ مَطْرُوحٍ، فَعَدَلْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَنْزِعُ، فَقُلْتُ: قَلَّ لِي إِلَهُ إِلَّا اللَّهُ، فَفَتَحَ عَيْنَيْهِ وَقَالَ: [مِنَ الْخَفِيفِ]

إِنَّ أَنَا مَثُ وَالْهَوَى حَشَوُ قَلْبِي فَبِإِدَاءِ الْهَوَى يَمُوتُ الْكِرَامُ وَمَاتَ، فَغَسَلْتُهُ وَكَفَّنْتُهُ وَدَفَنْتُهُ، وَسَكَنَ مَا بِي فَرَجَعْتُ إِلَى مَكَّةَ^(١).

[وَحَكَى عَنْهُ فِي «الْمَنَاقِبِ» أَنَّهُ] قَالَ: مَتَى ظَهَرَتْ الْآخِرَةُ فَيَتَّ فِيهَا الدُّنْيَا.

و: مَنْ اسْتَغْنَى بِاللَّهِ أَحْوَجَ اللَّهُ الْخَلْقَ إِلَيْهِ.

وسئل عن المعرفة فقال: أن تعرف الله بكمال الرُّبُوبِيَّةِ، وتعرف نفسك بالعبودية.

وقال: الذَّنْبُ بَعْدَ الذَّنْبِ عَقُوبَةُ الذَّنْبِ.

وقال: الْمُعْجَبُ بِعَمَلِهِ مُسْتَدْرَجٌ، وَالْمُسْتَحْسِنُ لشيءٍ مِنْ أَعْمَالِهِ مَمْكُورٌ بِهِ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ بِمَكَّةَ.

وهما مُزَيَّنَانِ، صَغِيرٌ وَكَبِيرٌ^(٢)، فَالصَّغِيرُ صَاحِبُ هَذِهِ التَّرْجَمَةِ، وَالْكَبِيرُ كَنِيَّتُهُ أَبُو جَعْفَرٍ، قَالَ الْمَصْنُفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: لَمْ أَقِفْ عَلَى تَارِيخِ وَفَاتِهِ وَكَانَ بِمَكَّةَ، [إِلَّا أَنْ الْخَطِيبُ ذَكَرَ لَهُ حِكَايَةَ فَقَالَ بِإِسْنَادِهِ عَنْ] جَعْفَرِ الْخُلْدِيِّ [قَالَ:] وَدَعْتُ^(٣) الْمُزَيَّنَ الْكَبِيرَ فِي بَعْضِ حَجَّاتِي وَقُلْتُ: زُوِّدْنِي شَيْئاً، فَقَالَ: إِنَّ ضَاعَ مِنْكَ شيءٌ، أَوْ أَرَدْتَ أَنْ

(١) مناقب الأبرار ٢/١٠٣-١٠٤.

(٢) قال الذهبي في السير ١٥/٢٣٢: وما يظهر لي إلا أنهما واحد.

(٣) في (خ): وكان بمكة قال جعفر الخلددي ودعت، والمثبت من (م ف م ١)، والخبر في تاريخ بغداد ٨/١٤٨، وعنه المنتظم ١٣/٣٨٨-٣٨٩.

يجمعُ الله بينك وبين إنسان فقل: يا جامع الناس ليوم لا ريبَ فيه، اجمع بيني وبين كذا وكذا، فإنَّ الله يجمعُ بينك وبين ذلك الشيء أو ذلك الإنسان.

قال: وجئتُ إلى الكَتَّاني فودَّعتهُ، وقلتُ له: زوِّدني، فأعطاني فصًّا عليه نقشٌ كأنَّه طَلَّسَم فقال: إذا اغتَمَمْتَ فانظر إلى هذا فإنه يزول عنك، فانصرفْتُ، فما دعوتُ الله تعالى بتلك الدَّعوة إلا استجيب لي، ولا رأيتُ الفَصَّ وقد اغتَمَمْتُ إلا زال عني عَمِّي.

فيينا أنا ذات يوم قد توجَّهْتُ أعبُرُ إلى الجانب الشرقي ببغداد، إذ هاجت ريحٌ عظيمة، وأنا في سُماريَّة والفَصُّ في جيبِي، فأخرجتهُ لأنظرَ إليه فوق من يدي، فلا أدري أين ذهب في دجلة أو في السفينة؟ فاغتممتُ غمًّا شديدًا، ودعوتُ الله بالدَّعوة، وعَبَرْتُ دجلةً، وما زلتُ أدعو بها أيامًا، فلمَّا كان في بعض الأيام أخرجتُ صندوقًا لي فيه ثيابي لأغَيِّرَ منها شيئًا، ففرَّغتُ الصندوقَ، وإذا بالفَصُّ في أسفل الصندوق، فأخذتهُ وحمدتُ الله على رجوعه.

عمر بن محمد

ابن يوسف بن يعقوب بن إسماعيل بن حمَّاد بن زيد بن درهم، أبو الحسين، القاضي، الأزدي، المالكي^(١).

ناب عن أبيه وهو ابن عشرين سنة، ثم توفي أبوه فأقام على القضاء إلى آخر عمره، وكان حافظًا لكتاب الله، عارفًا بفنون العلوم والفرائض والحساب واللغة والنحو والشعر والحديث، صنَّف «المسند» وغيره.

وكان عددُ شهوده ألفاً وثمان مئة، ليس فيهم من استشهد إلا لفضلٍ أو دينٍ أو مالٍ أو شرفٍ. وكان دميمَ النَّفس^(٢)، شريفَ الأخلاق، وكان أبوه يقول: ما زلتُ مُرَوِّعاً من مسألةٍ تجيئني من السلطان حتى نشأ أبو الحسين.

(١) أخبار الرضا ١٤١، وتكملة الطبري ٣٢٠، وتاريخ بغداد ٨١/١٣، والمنظوم ٣٨٩/١٣، والكمال ٣٦٤/٨، ومعجم الأدباء ٦٧/١٦، وترتيب المدارك ٢٧٨/٢، وتاريخ الإسلام ٥٥٣/٧. وهذه الترجمة ليست في (ف م م١).

(٢) كذا في (خ)؟! وقد أجمع مترجموه على مدحه، فلعلها: كريم النفس.

وقال جعفر بن وَرْقَاءَ: حَجَجْتُ وَعُدْتُ، فَتَأَخَّرَ عَن تَهْنِئَتِي الْقَاضِي أَبُو عَمْرٍ وَابْنُهُ أَبُو

الحسين، فكَتَبْتُ إِلَيْهِمَا: [من الوافر]

أَسْتَجْفِي أَبَا عُمَرَ وَأَشْكُو
بِأَيِّ قَضِيَّةٍ وَبِأَيِّ حُكْمٍ
فَمَا جَاءَ وَلَا بَعَثَا بِعُذْرٍ
وَإِنْ نُمِسْكَ وَلَا نَعْتِبَ تِمَادِي
وَإِنْ نَعْتِبَ فَحَقُّ غَيْرِ أَنَا
فَلَمَّا وَقَفَ أَبُو عَمْرٍ عَلَى الْآيَاتِ قَالَ لِابْنِهِ أَبِي الْحَسَنِ: أَجِبْهُ، وَكَانَ أَبُو عَمْرٍ عَلَى

شُغْلٍ، فَأَجَابَهُ أَبُو الْحَسَنِ: [من المنسرح]

تَجَنَّنَ وَأَظْلِمَ فَلَسْتُ مُنْتَقِلاً
ظَنَنْتَ بِي جَفْوَةً عَتَبْتَ لَهَا
حَكَمْتَ بِالظَّنِّ وَالشُّكُوكِ وَلَا
تَرَكْتَ حَقَّ الْوَدَاعِ مُطَّرِحاً
أَمْرَانِ لَمْ يَذْهَبَا عَلَى قَطِينِ
وَكَأَنَّ هَذَا مَقَالُ ذِي ثِقَةٍ

ذكر وفاته:

قال المعافى بن زكريا: كُنْتُ أَحْضَرُ مَجْلِسَ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ أَبِي عَمْرٍ يَوْمَ النَّظَرِ، فَحَضَرْتُ يَوْمًا أَنَا وَجَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي جَرَتْ الْعَادَةُ لِجُلُوسِنَا فِيهِ نَنْتَظِرُهُ حَتَّى يَخْرُجَ، فَدَخَلَ أَعْرَابِيٌّ لَعَلَّ لَهُ حَاجَةٌ إِلَيْهِ، فَجَلَسَ بِقَرْبِنَا، فَجَاءَ غُرَابٌ فَقَعَدَ عَلَى نَخْلَةٍ فِي الدَّارِ وَصَاحَ ثُمَّ طَارَ، فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ: هَذَا الْغُرَابُ يَقُولُ: إِنَّ صَاحِبَ هَذِهِ الدَّارِ يَمُوتُ بَعْدَ سَبْعَةِ أَيَّامٍ، فَصَحْنَا عَلَيْهِ وَزَبَرْنَا، فَقَامَ وَانصَرَفَ، وَاحْتَبَسَ خُرُوجَ أَبِي الْحَسَنِ، وَإِذَا قَدْ خَرَجَ إِلَيْنَا الْغَلَامُ وَقَالَ: الْقَاضِي يَسْتَدْعِيكُمْ، فَقَمْنَا وَدَخَلْنَا إِلَيْهِ، فَإِذَا هُوَ مُتَغَيَّرُ اللَّوْنِ، مُنْكَسِرُ الْبَالِ، مُعْتَمِّمٌ، فَقَالَ: أَحَدْتُكُمْ بِشَيْءٍ قَدْ شَغَلَ قَلْبِي، رَأَيْتُ

الْبَارِحَةَ فِي الْمَنَامِ شَخْصًا يَقُولُ: [من الطويل]

مَنَازِلَ آلِ حَمَّادِ بْنِ زَيْدٍ عَلَى أَهْلِيكَ وَالنُّعْمَ السَّلَامُ
وقد ضاق صدري لذلك، فدعونا له وانصرفنا، فلمَّا كان اليومُ السَّابعُ من ذلك اليومِ
دُفِنَ رحمة الله عليه.

وتوفي يوم الخميس لثلاث عشرة ليلة خلت من شعبان، وصلى عليه ابنه أبو نصر،
ودُفن إلى جانب أبيه في دار إلى جانب داره.

وكان قد بلغ من العلوم مَبْلَغاً عظيماً، وتوفي وهو ابن أربع وثلاثين سنة^(١)، ووَجَدَ
عليه الراضي وَجْداً شديداً، حتى إنَّه كان يبكي ويقول: كُنْتُ أَضِيقُ بِالشَّيْءِ دَرْعاً
فِيوسعه علي، ووالله لا بقيت بعده.

ولمَّا توفي خَلَعَ الراضي على ابنه أبي نصر يوسف بن عمر يوم الخميس لخمسٍ بقين
من شعبان، وقلَّده الحَضْرَةَ بأسرها وبعضَ السَّوادِ، وخلع على أخيه أبي محمد الحسين
ابن عمر وولَّاه أكثرَ السَّوادِ، ثم صَرَفَ الراضي أبا نصر عن مدينة المنصور بأخيه
الحسين سنة تسع وعشرين وثلاث مئة، وأقرَّه على الجانب الشرقي.

محمد بن أحمد

ابن أيُّوب بن الصَّلْتِ^(٢)، أبو الحسن ابن شَنْبُوذِ، المُقَرِّي.
كان تخييراً لنفسه حروفاً من شَوَاذِّ القراءات، فقرأ بها بحضرة ابن مُقَلَّةِ الوزير، فأنكر
عليه، وضربه سبع دَرَرٍ، فدعا على ابن مُقَلَّةِ بقطع اليد، وكانت وفاته ببغداد في صفر.

محمد بن عبد الوهَّاب

أبو علي، الثَّقَفِي، إمام الصُّوفِيَّةِ بَنِيَسَابُورِ^(٣).

(١) في أخبار الراضي ١٤١، وترتيب المدارك ٢/٢٨١ أنه توفي وهو ابن تسع وثلاثين سنة، وفي المنتظم
٣٩٢/١٣ ابن سبع وثلاثين سنة.

(٢) في (خ): أيُّوب بن أبي الصلْتِ، وهذه الترجمة والتي تليها ليستا في (م ف م ١)، والمثبت من مصادر ترجمته:
تاريخ بغداد ١٠٣/٢، والمنتظم ٣٩٢/١٣، وتاريخ الإسلام ٥٥٣/٧، والسير ٢٦٤/١٥، وقد سلفت
أخباره في أحداث السنة (٣٢٣ هـ).

(٣) طبقات الصوفية ٣٦١، والرسالة القشيرية ١١٠، ومناقب الأبرار ٦٣/٢، وتاريخ الإسلام ٥٥٧/٧،
والسير ٢٨٠/١٥.

كان إماماً في علوم الظاهر والباطن، وبه ظهر التصوف بخراسان.
 لقي أبا حفص، وحمدوناً القصار، وأبا عثمان الحيري وصحبهم.
 وكان أبو عثمان يقول: إنِّي لأنتفعُ في نفسي إذا نظرتُ إلى خُشوع هذا الفتى، يعني:
 أبا علي.

وكان يتكلم على الناس. قال أبو بكر الرّازي: حضرتُ مجلسَ الثّقفي، فتكلم في
 المحبة والمحبين وأنشد: [من الطويل]
 إلى كم يكون العتب في كل ساعةٍ وكم لا تملين القطيعة والهجرة
 رويدك إن الدهرفيه كفايةً لتفريق ذات البين فانتظري الدهرا
 وقال: من صحب الأكابر على غير طريق الاحترام حرم فوائدهم، ولم يظهر عليه
 من أنوارهم شيء.

وقال: من غلبه هواه تواری عنه عقله.

وقال: لا تطلب تقويم ما لا يستقيم، ولا تأديب من لا يتأدب

وقال: يأتي على الناس زمانٌ لا تصح المعيشة فيه لمؤمن حتى يستند إلى منافق.

وقال: يا من باع كل شيءٍ بلا شيءٍ، واشترى لا شيءٍ بكل شيءٍ.

وكان عبد الله بن محمد بن منازل في زمانه، وكان مجرداً من الدنيا، فتكلم الثّقفي
 يوماً في التجريد عن الدنيا، وشبّه بالموت، فناداه ابنُ منازل وراعهُ وقال: ها قد
 متُّ، فانقطع الثّقفي لأنّه كان له علائقٌ، وابنُ منازل كان مجرداً^(١).

محمد بن علي بن الحسين

أبو علي، المعروف بابن مُقلّة، الوزير^(٢).

(١) مناقب الأبرار ٦٥/٢، وتحرف فيه ابن منازل إلى ابن المبارك.

(٢) المنتظم ٣٩٣/١٣، وتاريخ الإسلام ٥٥٨/٧، والسير ٢٢٤/١٥، وقد سلفت جملة صالحة من أخباره في
 السنين الماضية.

ولد ببغداد سنة اثنتين وسبعين ومئتين، وأول تصرفه مع أبي عبد الله محمد بن داود ابن الجراح سنة ثمان وثمانين، فأقام معه ثمانية أشهر، ثم انتقل إلى أبي الحسن بن الفرات قبل تقلده الوزارة.

ثم آل أمره أن وَزَرَ لثلاثة خلفاء؛ للمقتدر سنة ست عشرة وثلث مئة، وقبض عليه في آخر سنة سبع عشرة، ووزر للقاهر سنة عشرين، [واستتر عنه خوفاً منه سنة إحدى وعشرين] فلم يظهر حتى بُوع للراضى.

وقال: كنت مُستتراً في دار أبي الفضل بن ماري النُّصراني بدرب القراطيس، فسُعي بي إلى القاهر، وعرف موضعي، فإني لجالسُ نصف الليل وإذا بالشارع قد امتلأ بالخيَل والمشاعل، وهجموا الدار، فدخلتُ بيتاً فيه تين، فدخلوه وفتشوه بأيديهم، وأيقنتُ أنني مأخوذة، فعاهدتُ الله على تركِ ذنوبٍ كثيرة، وأنتي متى تقلدتُ الوزارة أمنتُ المستترين، وأطلقتُ ضياع المنكوبين، ووقفتُ وقوفاً على الطَّالبيين، وخرج الطَّلَبُ وكفاني الله أمرهم^(١).

وكان ابنُ مُقلَّة قد نفى أبا العباس أحمد بن عبيد الله الخَصِيبي وسليمان بن الحسن إلى سَرَنْدِيب، وكلاهما وَزَرَ للمقتدر، فقال الخَصِيبي لسليمان لَمَّا خَبَّ بهما البحرُ: اللهم إني أتوبُ إليك من معاصيك، إلا من مكروهٍ أوقعه بآبن مُقلَّة، فردَّهما البحر إلى عُمان، فعادا إلى بغداد مستترين، فلَمَّا عزل الراضى ابنُ مُقلَّة من الوزارة ضَمِنَه الخَصِيبي بألفي ألف دينار، وحلَّت به المكاره من قبَله.

وكان ابن مُقلَّة إذا صادر أحدَهم هَدَم داره، وأخذ أنقاضها فبنى بها داره بالزَّاهر، ولَمَّا أراد أن يَضَعَ أساسها جمع المُنَجِّمين، فاختروا له وقتاً لبنائها، فكان يجلس يقرأ القرآن والأسطرلاب بيده، فكتب إليه بعضهم: [من البسيط]

قل لابن مُقلَّة [مهلاً]^(٢) لا تكن عَجِلاً واصبِرْ فإنَّك في أضغاثِ أحلامِ

(١) تكملة الطبري ٣٢١، والمنتظم ١٣/٣٩٤.

(٢) ما بين معكوفين من تكملة الطبري ٢٩٩، والمنتظم ١٣/٣٩٥، وتاريخ الإسلام ٧/٥٦١، والسير

تَبْنِي بِأَنْقَاضِ دُورِ النَّاسِ مُجْتَهِدًا دَارًا سَتُنْقِضُ قَهْرًا بَعْدَ أَيَّامِ
 وَعَادَةُ الدَّهْرِ فِيهَا أَنْ يُغَادِرَهَا وَالنَّارُ تُضْرَمُ فِيهَا أَيَّ إِضْرَامِ
 تَتْلُو الْقُرْآنَ عَلَيْهَا ثُمَّ تُتْبِعُهُ أَحْكَامَ هِرْمَسَ تَلْكَمَ شَرِّ أَحْكَامِ
 إِنَّ الْقُرْآنَ وَيَبْطَلِي مُوسَى مَا اجْتَمَعَا فِي حَالِ نَقْضٍ وَلَا فِي حَالِ إِبْرَامِ
 وكان له بستانٌ عدَّةٌ أجربة^(١)، شجرٌ بلا نخل، عمل له شبكٌ إبريسم، وكان يُفَرِّخُ فيه
 الطيور التي لا تُفَرِّخُ في الشجر، كالقماري، والهزار، والبيغ، والبلايل، والطواويس،
 والقبج، وكان فيه الغزال والبقر والنعام وحُمُرُ الوحش، ووقع طائرٌ بحريٌّ على طائر
 بريٍّ فازدوجا وباضا وأفرخا، فأعطى من بشره بذلك مئة دينار.

وكان جحظة يُعاشِرُهُ في زمان الفقر، فلَمَّا وَلِيَ الوزارة حَجَبَهُ، فكتب إليه: [من

البيسط]

قَلَّ لِلْوَزِيرِ أَدَامَ اللَّهِ دَوْلَتَهُ اذْكُرْ مُنَادِمَتِي وَالْحُبْزَ خُشْكَارُ
 إِذْ لَيْسَ بِالْبَابِ بِرَدُونٌ لِنَوْبَتِكُمْ وَلَا حِمَارٌ وَلَا فِي الشَّطِّ طَيَّارُ^(٢)
 وأكل يوماً حلوى فنقظ على ثوبه نقطة صفراء، فأخذ الجدادَ وسودها وأنشد: [من

الخفيف]

إِنَّمَا الرَّعْفَرَانُ عِظْرُ الْعَذَارَى وَمِدَادُ الدُّوِيِّ^(٣) عِظْرُ الرَّجَالِ

ومن شعره عند قطع يده: [من الخفيف]

مَا سَأَمْتُ الْحَيَاةَ لَكِنْ تَوَثَّقُ تُتُّ بِأَيْمَانِهِمْ فَبَانَتْ يَمِينِي
 بَعَثْتُ دِينِي لَهُمْ بِدُنْيَايَ حَتَّى حَرَمُونِي دُنْيَاهُمْ بَعْدَ دِينِي
 وَلَقَدْ رُمْتُ مَا اسْتَطَعْتُ بِجَهْدِي حَفِظْتُ أَيْمَانَهُمْ فَمَا حَفِظُونِي
 لَيْسَ بَعْدَ الْيَمِينِ لَذَّةٌ عَيْشٍ يَا حَيَاتِي بَانَتْ يَمِينِي فَبِينِي
 وكانت وفاته في شوال.

(١) الجريب من الأرض مَبْدَرُ الجريب الذي هو المكيال. مختار الصحاح.

(٢) سلف البيتان في ترجمة جحظة سنة (٣٢٣هـ)، والأبيات التي قبله في حوادث سنة (٣١٨هـ).

(٣) جمع دواة، وانظر المنتظم ١٣/٣٩٧-٣٩٨ فجلُّ الترجمة منه.

[وفيها توفي]

محمد بن القاسم

ابن محمد بن بشار، أبو بكر ابن الأنباري، النَّحوي، الإمام، العَلَّامة^(١).

ولد يوم الأحد لإحدى عشرة ليلة خلت من رجب سنة إحدى وسبعين ومئتين.

وقرأ القرآن، وسمع الحديث، واشتغل بعلم العربية حتى فاق أهل عصره، ولم يكن في زمانه أحفظ منه، [فحكى الخطيب أنه] كان يحفظ ثلاث مئة ألف بيت من الشواهد في القرآن.

[قال:] ومرض فعزّن عليه أبوه حُزناً شديداً، فقبل له في ذلك فقال: كيف لا أحزن على من في صدره هذه الحزائن، وكانت ثلاثة عشر صندوقاً مملوءة كتباً. وكان إذا دخل الحمام يقف أبوه قائماً حتى يخرج ويقول: أخاف أن يقع عليه الحمام وفي صدره هذه الصناديق.

[قال:] وكان يحفظ مئة وعشرين تفسيراً للقرآن بأسانيدها.

وحكى الخطيب: أن جارية سألته عن مسألة من تعبير الرؤيا، فقال: الجواب غداً، ومضى تلك الليلة، فحفظ كتاب «تعبير الرؤيا» للكرماني.

قال الخطيب: وأملى^(٢) كتاب «غريب الحديث» من حفظه في خمسة وأربعين^(٣) ألف ورقة، وأملى «شرح الكافي» في ألف ورقة، وكتاب «الهاءات» في ألف ورقة، وكتاب «الأضداد»، و«المذكر والمؤنث»، وكتاب «المشكل» بلغ فيه إلى (طه) ومات، وغير ذلك.

وكتب الناس عنه وأبوه حيّاً، وكان يُملّي في ناحية المسجد، وأبوه يُملّي ناحية.

(١) أخبار الرازي ١٤٤، وتكملة الطبري ٣٢١، وتاريخ بغداد ٤/٢٩٩، والمنتظم ١٣/٣٩٧، والكامل ٨/٣٦٥، ومعجم الأدياء ١٨/٣٠٦، وتاريخ الإسلام ٧/٥٦٤، والسير ١٥/٢٧٤.

(٢) في (خ): بأسانيدها، وسألته جارية عن مسألة من تعبير الرؤيا للكرماني وأملى، والمثبت من (م ف م)، وانظر تاريخ بغداد ٤/٣٠٢.

(٣) في (خ): خمسة وعشرين، والمثبت من (م ف م).

وكان [مع هذا الحفظ] متواضعاً، صدوقاً، ثقةً، ديناً، قال الدارقطني: حضرت يوماً مجلس إملائه، فصحّف حَيَّانَ بَجَبَّانَ، فأعظمتُ أن يُحْمَلَ عنه - في فضله وجلالة قدره - وَهَمٌّ، وهبته أن أفأوضه في ذلك، فقلتُ للمستملي وبيّنتُ له الصوابَ وأنصرفتُ، وعرفه المستملي، فلمّا كان في الجمعة القابلة حضرتُ وحضر الجماعة، فقال أبو بكر للمستملي: عرّف الجماعة أنّنا صحّحنا الاسمَ الفلاني في المجلس الماضي في حديث كذا وكذا، وثبّهنا ذاك الشابُّ عليه وأشار إليّ، وأنا كشّفنا الأصلَ فوجدناه كما قال.

[قال الخطيب: وكان لا يأكل إلا القلايا، ولا يشرب إلا الماء البارد.

قال:] وقال^(١) أبو الحسن العروضي: اجتمعتُ أنا وأبو بكر بن الأنباري عند الرّاضي، وكان الطّبّاخ قد عرف ما يأكل، فكان يشوي له قَلِيَّةً يابسة، ونحن نأكل ألوانَ الطّعام وأطايبه، وهو يُعالجُ تلك القلّية، ولما فرغنا أكلنا الحلوى، وشربنا الماء الممزوج بالثلج، ولم يشرب [بعد القلّية] ماءً إلى العصر، فشرب من ماء الحُبِّ غير مبرّدٍ بالثلج، فقلتُ له: لم تُعذّب نفسك في الدنيا؟ قال: أبقى على حِفْظي وعلمي، فقلتُ: قد أكثر الناس في حفظك، فقال: أحفظُ ثلاثة عشر صندوقاً.

[قال:] وحضر بين يديه رُطْبٌ، فجعل يُقلِّبه ويقول: إِنَّكَ لَطَيِّبٌ، وأطيبُ منك حِفْظُ ما وهبه الله لي من العلم.

[قال:] فلمّا وقع في الموت أكلَ كلَّ ما يَشْتَهيه وقال: إنّما هي عِلَّةُ الموت.

وكان يدرُسُ في كلِّ جمعة عشرة آلاف ورقة [وكان هذا دأبه].

وقال: دخلتُ مارستانَ بابِ مُحَوَّلٍ، فسمعتُ رجلاً في بيتٍ يقرأ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ بُدِئَ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ [العنكبوت: ١٩] ثم قال لنفسه: أنا لا أقفُ على قوله ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ بل على قوله: ﴿بُدِئَ اللَّهُ الْخَلْقَ﴾ فأقفُ على ما عرفه القوم وأقرأوا به؛ لأنّهم لم يكونوا يُقرؤون بالبعث، ثم أبتدئُ بقوله ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ فيكونُ خيراً.

(١) ما بين معكوفين من (ف م م). وانظر تاريخ بغداد ٣٠١/٤. القلايا جمع قَلِيَّةٍ، وهي مرقّة تتخذ من اللحم والأكباد.

وأما قراءة علي بن أبي طالب «وَأَذَكَرَ بَعْدَ أُمِّهِ»^(١) بفتح الميم فَوَجْهُ حَسَنٌ؛ فَإِنَّ الْأُمَّهَ النَّسِيَانَ.

فقال: فقلتُ للمارِسْتَانِي: مَنْ فِي هَذَا الْبَيْتِ؟ فَقَالَ: إِبْرَاهِيمَ الْمُوسُوسَ، فَقُلْتُ: هَذَا أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ، افْتَحَ لَنَا الْبَابَ، فَفْتَحْ، وَإِذَا بِهِ رَجُلٌ فَاضِلٌ، كَانَ يَجْتَمِعُ مَعَنَا عِنْدَ ثَعْلَبٍ، وَإِذَا بِهِ قَدْ انْعَمَسَ فِي النَّجَاسَةِ، فَلَمَّا رَأَيْتِي أَشَارَ إِلَى الْبَوْلِ وَقَالَ: مَا هَذَا؟ قُلْتُ: الْحُرَّةُ، فَقَالَ: وَمَا جَمَعُهُ؟ قُلْتُ: حُرُوءٌ، قَالَ: فَمَا الشَّاهِدُ؟ قُلْتُ: قَوْلُ الشَّاعِرِ: [مِنَ الطَّوِيلِ]

كَأَنَّ حُرُوءَ الطَّيْرِ فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ

فقال: صدقتَ، والله لو لم تأتِ بالجواب لأطعمتُك منه، فقلتُ: الحمد لله الذي نَجَّانِي مِنْكَ.

وقال المصنف رحمه الله: والشعرُ للجَوَّاسِ بْنِ نُعَيْمٍ:

كَأَنَّ حُرُوءَ الطَّيْرِ فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ إِذَا اجْتَمَعَتْ قَيْسٌ مَعًا وَتَمِيمٌ
يَصِفُ ذُلَّهُمْ^(٢).

ذكر وفاته:

[حكى ابن ناصر بإسناده عن] عبد الله ابن عيسى قال: لَمَّا مَرَضَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ الْأَنْبَارِيِّ مَرَضَهُ^(٣) الَّذِي مَاتَ فِيهِ انْقَطَعَ عَنِ الْخُرُوجِ إِلَى الْمَسْجِدِ أَيَّامًا، فَدَخَلَ عَلَيْهِ الْجَمَاعَةُ وَسَأَلُوهُ عَنِ حَالِهِ، فَقَالَ لَهُ بَعْضُهُمْ: اضْبِطِ الْمَاءَ مِنْ غَدٍ وَأْتِيكَ بِثَابِتِ بْنِ سِنَانَ^(٤) الْمُتَطَبِّبِ - وَكَانَ يَجْتَمِعُ فِي حَلِيقَتِهِ الْأَشْرَافُ وَأَوْلَادُ الْوُزَرَاءِ - فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْعَدَمِ حَضَرَ الْمُتَطَبِّبَ مَعَ ذَلِكَ الرَّجُلِ، فَلَمَّا تَوَسَّطَ الْمَنْزِلَ قَالَ: أَرُونِي الْمَاءَ مَا دَمْتُ فِي الضُّوءِ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ، ثُمَّ دَخَلَ فَسَأَلَهُ عَنِ حَالِهِ فَقَالَ: رَأَيْتَ الْمَاءَ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَهُوَ يَدُلُّ

(١) من سورة يوسف الآية ٤٥، والخبر في تاريخ بغداد ٤/٣٠٣-٣٠٤، وعنه المنتظم ١٣/٤٠٠.

(٢) شرح ديوان الحماسة ٣/١٤٥٤، والمؤتلف والمختلف للأمدي ١٠١.

(٣) في (خ): ذكر وفاته قال عبد الله بن عيسى لما مرض مرضه، والمثبت من (م ف م). والخبر في المنتظم

٤٠٢/١٣.

(٤) في المنتظم: سنان بن ثابت.

على إيتابك جسمك وتكليفك نفسك أمراً عظيماً لا يُطيقه الناس، فقال: قد كنتُ أفعل ذلك، فوصف له ما يستعمله ثم خرج فتبعه الرجلُ، فسأله عنه فقال: ارفقوا به فهو تالفٌ ما فيه حيلة.

فسأله الرجل فقال: يا أستاذ، ما الذي كنتَ تفعلُ حتى استدلَّ الطبيبُ عليه من حالك؟ قال: كنتُ أدرسُ في كلِّ جمعة عشرة آلاف ورقة.

وتوفي ليلة النحر ببغداد، وحزن عليه الرّاضي، ورثاه العلماء.

واتفقوا على صدقه وثقته وفضله، قال أبو العباس الكاتب: أنشدنا محمد ابن الأنباري^(١): [من الخفيف]

لي صديق قد صيغ من حُسن عهد^(٢) ورمانى الزمان منه بصد
كان وجدي به فصار عليه وظريف زوال وجدٍ بوجد
[وفيها توفيت

أم عيسى بنت إبراهيم الحرّبي^(٣)

كانت عالمة فاضلة، تفتي في الفقه، توفيت في رجب، ودُفنت إلى جانب قبر أبيها، وقد ذكرناها في ترجمة أبيها فيما تقدّم، واتفقوا على صدقها وثقتها.^(٤)

(١) نسبها الخطيب في تاريخه ١٢/١١٠ - وعنه في المنتظم ١٤/٣٣٢، ونزهة الألباء ٣٠٢ - إلى أبي العباس الكاتب عبيد الله بن أحمد الزراري نفسه.

(٢) في المصادر: من سوء عهد.

(٣) تاريخ بغداد ١٦/٦٣١، والمنتظم ١٣/٤٠٢، وتاريخ الإسلام ٧/٥٦٨.

(٤) ما بين معكوفين من (م ف م)، وجاء فيها عقب هذا: والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.